تحليل الخطاب النحوي القديم في ضوء قواعد روبين لايكوف التأدبية

أ. حسام أحمد هاشم
كلية القانون/ جامعة البصرة

أ.د. خالد نعيم شناوة
كلية الآداب / جامعة البصرة

Email: hussam.ahmed@uobasrah.edu.iq
Email: khalid.shenawa@uobasrah.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الخطاب النحوي القديم في ضوء نظرية لايكوف التأدبية، للكشف عن مدى التزام النحويين بمبادئ التأدب في حواراتهم العلمية، ومواطن الخروج عنها. اعتمدت الدراسة على تحليل نصوص نحوية مختارة، قصد الوقوف على ملامح المبدأ التأدبي المتمثّل في التعفف، والتخيير، والتودد، كما صاغته لايكوف. وقد أظهرت النتائج أنّ الخطاب النحوي لم يكن مجرّد سجالات لغوية، بل فضاءً تداوليّاً اتّسم بحضور قواعد التأدب التي تحافظ على وجوه المتخاطبين وتؤطّر الحوار بقدر من الاحترام، على الرغم مما شابه أحيانًا من حدّة أو تعارض بلغ حدّ تهديد الوجه أو إراقة مائه. وتؤكد هذه القراءة أنَّ نظرية لايكوف تصلح إطاراً لفهم العمق التداولي في التراث النحوي العربي، بما يربط بين مناهج القدماء في الحوار وأدوات التداولية المعاصرة، ويكشف عن أنَّ الخطاب العلمي التراثي لم يكن بمنأى عن مبادئ التواصل الإنساني.

الكلمات المفتاحية: روبين لايكوف، التأدب والتعفف، التخيير، التودد.

Analysis of ancient grammatical discourse in light of Robin Lacoff's literary rules

Prof. Hussam Ahmed Hashim
College of Law / University of Basrah
Prof. Dr. Khaled Naeem Shanawa
College of Arts / University of Basrah
Email: hussam.ahmed@uobasrah.edu.iq
Email: khalid.shenawa@uobasrah.edu.iq

Abstract

This research aims to examine ancient grammatical discourse in light of Lakoff's politeness theory, revealing the extent to which grammarians adhered to the principles of politeness in their scholarly dialogues and the areas of deviation from them. The study relied on the analysis of selected grammatical texts to identify the features of the polite principle of modesty, choice, and courtesy, as formulated by Lakoff. The results revealed that grammatical discourse was not merely a linguistic debate, but rather a communicative space characterized by the presence of rules of politeness that preserved the faces of the interlocutors and framed the dialogue with a degree of respect, despite the occasional sharpness or conflict that reached the point of threatening or shedding one's face. This reading confirms that Lakoff's theory serves as a framework for understanding the pragmatic depth in the Arabic grammatical heritage, linking the approaches of ancient dialogue with contemporary pragmatic tools. It reveals that traditional scholarly discourse was not immune to the principles of human communication.

Keywords: Robin Lakoff, politeness Modesty, Choice, Courtesy.

المقدمة

تَتَجَلّى مُشكِلةُ هذه الدِّراسةِ في غيابِ التحليلِ التداوليّ الدقيقِ لخِطابِ عُلماءِ النحوِ القُدماءِ، على الرّغْمِ من ثرائِهِ واحتوائِهِ على أبعادٍ تواصليّةٍ، وحِجاجيّةٍ، وتأدّبيّةٍ بالغةِ الدِّقّةِ. وعلى الرّغمِ من تعدّدِ الدّراساتِ التي تَناولَتِ الجوانبَ النحويّةَ، والبلاغيّةَ، والأسلوبيّةَ في هذا الخِطابِ، فإنّ بُعدَ التأدُّبِ في خِطَابِ عُلَمَاءِ النَحْوِ القُدَمَاء وموقعَه التّداوليّ لَم يُدرَسْ دراسةً علميّةً منهجيّةً تُبرِزُ تقنيّاتِه وأدواتِه وسياقاتِه، ولا سيّما حينَ يَتعرّضُ الخِطابُ لمواقفَ الخَرْقِ أو التّجاوُزِ لمبادئِ الأدبِ التي يَتطلّبُها المقامُ العلميُّ.

وتَهدف هذه الدِّراسةُ إلى تحليلِ الخِطابِ النَحْوِي القُديم من منظورٍ تَداوليٍّ، بالتركيزِ على مبادئِ التأدُّبِ كما تَتبدّى في بُنيتِهِ وسِيَاقِهِ، مع استحضارِ الخَرْقِ المقصودِ أو غيرِ المقصودِ لهذه المبادئِ.

إنَّ محاولة بول غرايس في وضع نحو قائم على أسس تداولية للخطاب، وأَخْذُه بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية الخطاب، بالاستناد إلى مبدأ التعاون، فتحت باباً واسعاً في تطوير التداوليات اللغوية، غير أنَّ اهتمامه بالجانب التبليغي في عملية التخاطب، جعل بعض النقّاد يَسْعَى إلى تطوير قواعده الحوارية. فأضافوا عليها قواعد أخرى، انطلاقاً من مبادئ جديدة، رأوا فيها إضافات ضرورية، لإتمام عملية التخاطب.

لذلك صاغت اللغوية روبين لايكوف مبدأها التداولي الذي ينبني على التخاطب، إذ أوردته في مقالتها الشهيرة . منطق التأدب . ١٩٧٤م، وصيغة هذا المبدأ: لتكن مُؤَدَّباً، فضلاً عن المبدأ الأساس الذي وضعه غرايس وهو: لتكن واضحاً، وبذلك تمكنت من إلقاء الضوء على الجانب التهذيبي في الخطاب، من خلال وقوفها بالتفصيل على مبدأ التأدب الذي يراعي المتكلم فيه نوعَ العلاقةِ بينه وبين المخاطَب في خطابه، ويتعاونان فيما بينهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، ولا يكتفي أحدهم بالوقوف على الجانب اللغوي فقط، والاهتمام بصحة التركيب، لذلك لا بدَّ من الاهتمام بسياق التلفظ، بما فيه من افتراضات منطقية وأخرى تداولية[١].

لذلك وضعت لايكوف لهذا المبدأ ثلاث قواعد، هي[٢]:

١. قاعدة التَّعَفُّف: ومقتضاها هو: لا تَفْرِضْ نَفْسَكَ على المُخَاطَبِ، ومدار هذه القاعدة أنْ يكون المتكلم رسميًّا في خطابه ملتزماً بالشكليات، مُظْهِرا في تدخلاته قدراً من التحفّظ، وأنْ يجعل بينه وبين المخاطَب مسافة، فلا يستعمل صِيغ وعبارات تدل على حميمية أو يستعمل صيغ أفعال القلوب، ومحترزاً من استعمال عبارات الطلب المباشرة، ولا يَقْتَحِمْ عليهِ شُؤونَهُ الخاصةَ إلَّا بالاستئذان قبل الكلام فيها والاعتذار بعده.

٢. قاعدة التَّخْيِير أو ما تسمى بالتشكيك: أي أنْ يجعل المتكلم خيارات عدّة أمام المخاطَب عند مخاطبته، وصِيْغَت بعبارة (لِتَجْعَلِ المُخَاطَبَ يَختَارُ بنفسِهِ)، وأنْ يتجنب المتكلم أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان مُتشككاً في مقاصده، حتى يَشعر المخاطَب بأنَّه أمام جملة من الخيارات لا أمام خيار واحد لا مفرّ له منه، كأنْ تقول: قد يكون من المفيد أنْ تفعل كذا، أو ما قولك في كذا، بدل أنْ تقول: ينبغي عليك فعل كذا. فهنا يسمح للمخاطَب المشاركة في اتخاذ القرار وعدم إلزامه بأسلوب الأمر المباشر، وهي دعوة إلى المتكلم ليُظهر احترامه للمُخاطَب ونزوله عند إرادته ورغباته لأنَّ العلاقة التي تربط بينهما على الرغم من أنَّها ليست رسمية لكنها في الوقت نفسه غير حميمية أيضاً.

٣. قاعدة التَّوَدُد: ومقتضاها (لتُظْهِرَ الوُدَّ للمُخَاطَب، أي كُنْ صديقاً)، واجعل مُخَاطِبَك يَشعر بالراحة والطمأنينة، وأظْهِرْ وِدَّكَ له وتعاطفك معه، وأنْ تعامله معاملة النِّدّ بالنِّدِّ حتى تكسب رضاه وصداقته، وهذه القاعدة لا تستخدم إلّا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المخاطَب أو متساوياً معه، ويتم ذلك باستخدام أدوات لغوية مناسبة كاستخدام الاسم الصريح أو مناداته بلقبه أو كنيته، كقولنا: يا أبا فلان، ويَا محمد للصديق.

إنَّ اختيار أحد هذه القواعد يحدده ما يقتضيه الحال والموقف الذي يقوم عليه الخطاب أي طبيعة المجموعة الخطابية التي تمثلت فيه، فإذا رأى المتكلم أنَّ الكلفة بينه وبين شريكه أي المخاطَب في الحديث مرفوعة فإنَّه يستخدم قاعدة التودد، أمَّا إذا كان السياق لا يسمح بالودِّيّة فإنَّه يستخدم قاعدة التخيير وهكذا.

وقد استنتجت لايكوف أنَّ هناك علاقة بين مبدأي التعاون لغرايس والتَّأدُّب؛ وذلك من ناحيتين أو وجهين: الأولى ناحية اتفاق، والأخرى ناحية اختلاف. أمَّا الاتفاق بين هذين المبدأين فيكون في إنتاج الخطاب بصورة رسمية، وهذا موافق لقاعدة التعفف، أمّا الاختلاف بينهما فهو في أنَّ إنتاج الخطاب وفق مقتضى قاعدتي التخيير والتودد هي خرق لقواعد مبدأ التعاون[٣].

وبمقتضى هذه القواعد سنشرع بتحليل خطاب المتقدمين من النحويين واللغويين ونقف على مقاصدهم وتوظيفهم لمبادئ التأدب في الخطاب النحوي.

المبحث الأول: قاعدة التعفف في الخطاب النَّحَوي القديم

لا شَكَّ أنَّ القارئ في التراث اللغوي ولاسيما في الخطاب النحوي القديم سيجد توظيفاً لمبدأ التأدب في الخطاب النحوي، إذ يسعى طرفا الخطاب إلى التواصل والإفادة إلى الحد الأقصى منه، وفي ضوء ذلك يلجأ المخاطِب إلى قاعدة التعفف، التي توجب عليه ألَّا يستخدم من العبارات إلَّا ما يُمَكِّنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطَب مُتجنِّباً الصيغ التي تحمل دلالة وجدانية مثل أفعال القلوب،

ولا يحمله على فعل ما يكره محترزاً من استعمال عبارات الطلب المباشر، ولا يمكن استيفاء مقتضى التعفف إلّا إذا اجتنبنا أنْ نُبَلّغ المستمع كل ما من شأنه أنْ يعارض إرادته أو يعوق رغباته.

قال عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ): "حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي قال: حدثني أبو عبد الله اليزيدي عن عمه عن جده أبي محمد. وقال أبو جعفر محمد بن حبيب: ذكر أبو محمد اليزيدي قال: جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده فقال: يا أبا عمرو، ما شيءٌ بلغني أنَّك تُجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنَّك تُجيز: ((ليس الطيبُ إلّا المسكُ)) بالرفع. قال: فقال له أبو عمرو: نِمْتَ يا أبا عمر وأَدْلَجَ الناس، ليس في الأرض حجازي إلَّا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلَّا وهو يرفع. قال اليزيدي: ثم قال أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى، وتعال أنت يا خلف –لخلفٍ الأحمر– اذهبا إلى أبي المهدي فلقِّناه الرفع فإنَّه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع التميمي ولقِّناه النصب فإنَّه لا ينصب. قال: فذهبت أنا وخلفٌ وأتينا أبا المهدي فإذا هو يصلي وكان به عارض، وإذا هو يقول في الصلاة: إخسأنان عنِّي! قال: ثمَّ قضى صلاته وانفتل إلينا فقال: ما خطبكما؟ قلنا: جئنا نسألك عن شيءٍ من كلام العرب. فقال: هاتيا. فقلت له: كيف تقول: ليس الطيبُ إلّا المسكُ؟ فقال: أتأمراني بالكذب على كبرة سِنِّي فأين الجادي؟ قال ابن حبيب: وحكى ابن الأعرابي: فأين بنة الإبل؛ وأين كذا وأين كذا؟ قال اليزيدي: فقال له خلفٌ: ليس الشرابُ إلّا العسلُ. قال: فما يصنع سودان هجر، ما لهم شرابٌ إلّا هذا التمر. قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: ليس ملاكُ الأمر إلّا طاعةُ الله والعمل بها. قال: فقال: هذا كلامٌ لا دخل فيه، ليس ملاك الأمر إلا طاعةَ الله والعمل به. فنصب. قال اليزيدي: فقلت له: ليس ملاك الأمر إلّا طاعةُ الله والعمل به. ورفعت، فقال: لا، ليس هذا من لحني ولا من لحن قومي. قال: فكتبنا ما سمعنا منه... ثمَّ أتينا المنتجع، فأتينا رجلاً يَعْقُل، فقال له خلف: ليس الطيبُ إلّا المسكَ، قال: فرفع، ولَقَّناه وجَهِدْنَا به في ذلك، فلم ينصب وأبّى إلَّا الرفع. قال: فأتينا أبا عمرو فأعلمناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح، قال فأخرج عيسى خاتمه من يده ثم قال: لك الخاتم، بهذا والله فِقْتَ النّاس!" [٤].

إنَّ نَظَرَ المتلقي إلى هذا الحوار الذي مثَّلته الممارسة الخطابية بين طرفي الخطاب: أبي عمرو عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري (ت ١٤٩هـ)[٥] ، وأبي عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري (ت ١٥٤هـ)[٦] فضلاً عن الذوات الأخرى المشاركة في الخطاب من وجهة تبنيه لقواعد التأدب في الخطاب، يدرك أنَّه قائم على شبكة من العلاقات الخطابية.

فموضوعة الخطاب مسألة في النحو أراد أحد طرفي الخطاب بيان الوجه النحوي الذي يصح التلفظ به، وهذا يدخل في نوع الخطاب ولا سيما الخطاب العلمي الذين يكون طرفاه من علماء اللغة والنحو، وفي هذه الحال وجدنا عيسى بن عمر قد توجه بالسؤال إلى أبي عمرو بن العلاء بقول ابتداءً "يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَيْءٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُجِيزُهُ؟" إذ لم يحاول أنْ يفرض نفسه على أبي عمرو بن العلاء، وقد كان حريصاً على حفظ المسافة بينهما تأدّباً لأبي عمرو[٧]، لذلك استخدم "يا النداء" في خطابة فأنزله منزلة البعيد في خطابه لعظيم قدره وشريف منزلته وهذا هو خطاب العلماء، وهو في ضوء ذلك لم يفرض نفسه على أبي عمرو بن العلاء بلحاظ قوله: "بلغني أنَّك تُجيز : ليس الطيبُ إلا المسكُ" وهذا يدخل في باب الاجتهاد الذي يكون سمة من سمات الخطاب العلمي النحوي، وهو في هذه الحال حرص على التواصل وعدم الانقطاع لبيان وجهة نظره والتعبير عنها، وكان له ما أراد، فقد خاطبه بكنيته "يا أبا عمرو" وهذا يُشعِر بقربهما من بعض مع مراعاة حدود ومنازل العلماء بينهم، لذلك كَنَّى بقوله: (نِمْتَ يا أبا عمر وأَدْلَج الناس...) لعدم علمه بما بلغه من القول من قبل، أي أنَّك غفلت عن الأمر وسبقك العلماء– وأنت منهم إلى معرفته.

وفي هذه الحال لم ينقطع التواصل بينهما وقد حرصا على التواصل والحوار دون أنْ يفرض أيٍّ منهما ذاته المخاطِبة على الآخر.

واذا ما ذهبنا الى خطاب أبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد اليزيدي النحوي (ت ٢٠٢هـ)[٨] و خلف بن حيَّان الأحمر، مولى أبي بُردة بن أبي موسى الأشعريّ؛ يُكنَى أبا مُحرِزٍ (ت ١٨٠هـ)[٩] ، وأبي المهدي وهو أحد الأعراب الذي كان ينقل عنه البصريون[١٠]، نجد ثَمّة مراعاة لمبدأ التأدب في خطابهم النحوي ، فوجدنا السائلَين لم يكونا مباشرين في سؤالهما لأبي المهدي، ولم يفرضا نفسيهما عليه إلَّا بعد سؤاله لهم: "ما خطبكما؟" لذا تم استئذانهم منه، وذلك بقولهم: "جئنا نسألك عن شيء في كلام العرب" فهو سؤال غير مباشر، ونجدهم أيضاً قد جعلا مسافة بينهم وبين المخاطَب، وتَحَصَّلا على ما كُلِّفَا به من الأمر في بيان ما تكلمت به العرب[١١].

ومِنَ الخِطابِ النَّحْوِيِّ الذي يُفْتَتَحُ الحِوارُ فيهِ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، ويُوَظَّفُ فيهِ مَبْدَأُ التَّأَدُّبِ رَغْبَةً في التَّواصُلِ وعَدَمِ الانْقِطاعِ، ما كانَ بَيْنَ الكِسَائِيِّ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ حَمْزَةَ (ت ١٨٩هـ)، وَضِرَارِ بنِ عَمْرٍو القَطْفَانِيِّ (ت ١٩٠هـ) وَأَبِي إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ النَّظَّامِ (ت ٢٢١هـ) في حَدِّ الفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ بِهِ.

قال ياقوت الحموي "وقرأت بخط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي اليَزْدَادِي اللغوي الكاتب في «كتاب جلاء المعرفة» من تصنيفه: قيل اجتمع إبراهيم النَّظَام وضِرار بين يَدِي الرشيد فتناظرا في القدر حتى دقّت مناظرتهما فلم يفهمهما، فقال لبعض خدمه ومن يثق به ويرضى برأيه: اذهب بهذين إلى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه، ثم ليخبرك لمن الفلج منهما، فلما صار في بعض الطريق قال إبراهيم النظام

لضرار: أنت تعلم أنَّ الكسائي لا يُحْسِن شيئاً من النظر، وإنَّما مُعوّله على النحو والحساب، ولكن تُهَيء له مسألة نَحْوٍ وأهيئ له مسألة حساب فنشغله بهما، لأنَّا لا نَأمَنُ أنْ يسمع منَّا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه أنْ ينسبنا إلى الزندقة، فلما صارا إليه سَلَّما عليه، ثم بدأ ضرار فقال: أسألك أصلحك الله عن مسألة من النحو ، قال: هاتها قال: ما حدّ الفاعل والمفعول به؟ قال الكسائي: حدّ الفاعل الرفع أبداً وحدّ المفعول به النصب أبداً، قال فكيف تقول: ضُرِبَ زَيدٌ؟ قال: ضُرِبَ زَيدٌ قال: فَلِمَ رفعت زَيداً وقد شرطت أنَّ المفعول به منصوب أبداً، قال: لأنَّه لم يُسَمّ فاعله، قال له: فقد أخطأت في العبارة إذ لم تقل إنَّ من المفعولين من إذا لم يُسَمّ فاعله كان مرفوعاً، ومن جعل لك الحكم بأنْ تجعل الرفع لمن لم يُسَمّ فاعله؟ قال: لأنَّا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مقامه، لأنَّ الفعل الواقع عليه غير مستحكم النقص، وعدم النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا من فعل به وأفصحنا بذلك نصبناه، قال له: فإنْ كان النصب مطابقاً للنقص فمن لم يُسَمّ فاعله أولى به لأنّاَ إذا قلنا ضُرِبَ زيدٌ فقد يمكن أنْ يكون ضربه مائة رجل"(١٢).

إذ نَجدُ أَنَّهُما قد اتَّفَقَا مُنذُ البدايَةِ على إشْغَالِ الكِسَائيّ ومُغَالطَتِهِ، إلَّا أَنَّهُما كَانَا يَخشَيَانِ أَنْ يَرمِيَهُما بِالزَّندَقَةِ، فَاتَّبَعَا في أَوَّلِ خِطَابِهِما له أسلوبَ التَّعَفُّفِ في السُّؤَالِ. فَقَالَ ضِرَار: "أَسْأَلُكَ – أَصْلَحَكَ اللهُ – عن مَسْأَلَةٍ في النَّحْوِ"، إذْ وجَّهَ سُؤَالَهُ بِكُلِّ أَدَبٍ، وجَعَلَ عِبَارَةَ الدُّعَاءِ "أَصْلَحَكَ اللهُ" مَدْخَلًا لِلْخِطَابِ النَّحْوِيّ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمَا. وفي الطَّرَفِ الآخَرِ نَجِدُ الكِسَائِيَّ قَد تَهَيَّأَ له، فقالَ: "هَاتِهَا"، مُعْرِباً عَنْ رَغْبَتِهِ في التَّوَاصُلِ وَالتَّوَقُّفِ على حُدُودِ مَا يُسْأَلُ عنه في النَّحْوِ. فَكَانَ السُّؤَالُ في حَدِّ الفَاعِلِ: "مَا هُوَ؟"، ثمَّ تَكَرَّرَ المَطْلَبُ واعْتَمَدَ القَاعِدَةَ نَفْسَهَا في المَوْضُوعِ نَفْسِهِ، مع تَجْسِيدِ مَبْدَأ التَّخْيِيرِ في الجَوَابِ، وعَدَمِ فَرْضِ النَّفْسِ على الكِسَائِيّ(١٣)، فَقَالَ: "فَكَيْفَ تَقُولُ: ضُرِبَ زَيْدٌ؟ " مِمَّا جَعَلَ الكِسَائِيَّ يَتَوَاصَلُ مَعَهُ ولَمْ يَنْقَطِعْ، حَتَّى بَلَغَ الأَمْرُ في الحِوَارِ حَدَّ السَّفْسَطَةِ، كَمَا فِي قَوْلِ ضِرَارٍ: "وإذَا قُلْنَا: ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا، فَلَمْ يَضْرِبْهُ إلَّا رَجُلٌ واحِدٌ، فالذي أُمْكِنَ أَنْ يَضْرِبَهُ مائَةُ رَجُلٍ أَولَى بِالنَّصْبِ وَالنُّقْصَانِ مِمَّنْ لم يَضْرِبْهُ إلَّا رَجُلٌ واحِدٌ"، ففي هذه الحَالِ انْقَطَعَ الكِسَائِيُّ عن التَّوَاصُلِ، لأنَّ الأَمرَ قَد خَرَجَ عن حُدُودِ النَّحْوِ إلى غَيْرِ مَجَالِهِ.

خرق قاعدة التعفف

ومثلما وجدنا هذا الالتزام بمبادئ التأدب في الحوار، نجد أنَّ هناك من الحوارات والخطابات ما خرجت عن هذه المبادئ، منه ما ورد في خطاب أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ)(١٤) وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)(١٥) ، قال الزجاجي : "حدثني أبو الحسين الحصيني قال: حدثني أبو الفضل جعفر بن محمد بن يعقوب النحوي الغساني الضرير قال: حدثني أبو العباس محمد بن يزيد قال: كان محمد بن عبد الله بن طاهر رجلاً لا يقبل من العلوم إلَّا حقائقها، وإنَّه رام

نحو هؤلاء الكوفيين، وإنَّهم يحصلون على الرواية فإذا اختلفوا رجعوا إلى الكتب، فقيل له: اجمع بين أحمد بن يحيى وبين هذا البصري، فوعدنا ليوم بعينه وكان يوم خميس، فبكرت وإذا بعض الناس – يعني أحمد بن يحيى– قد سبقني، وعلى الباب علي بن عبد الغفار الضرير، فقال بعض الناس: من هذا؟ فقيل: هذا الذي يجمع بينك وبينه لتناظره. فكان أوَّل مَا بدأني به أنْ قال: ما يقول سيبويه في كذا وكذا؟ فقلت: كذا وكذا. فقال: ليس كما قلت. فسَكَتُّ. قال: فقال لي علي بن عبد الغفار: ما لك قد سكت؟ قلت: وما عسيت أنْ أقول، رجل يقول: ليس الأمر كما قلت أفأهتره".[١٦]

يُلاحَظُ في هذا الحوار خَرْقٌ صريحٌ لقاعدةِ التعفُّف، وهي القاعدة التي تقتضي أنْ لا يَفرض المتكلِّمُ نفسَهُ على المخاطَب، بل أنْ يُراعي المسافةَ الفاصلةَ بينهما، ويتجنّب اقتحام الموقف التخاطبي بعنفٍ أو إلحاحٍ، مع الامتناع عن الأفعال اللغوية المباشرة ذات الطابع الإلزامي أو القسري[١٧]، إلّا أنَّ ثعلباً خالف هذا المبدأ التداولي حين بادر إلى توجيه سؤالٍ إلى أبي العبّاس المبرد دون تمهيدٍ أو استئذان. وحين أجاب المبرد، لم يكتفِ ثعلبٌ بالجواب، بل رفضه صراحةً بقوله: "ليس كما قلت"، وهو بذلك لم يكن في موضع طالب وقد أدرك المبرد هذا القصد، فآثر قطع التواصل معه بالصمت، إلَّا أنَّ عليّ بن عبد الغفار أعاد فرضَ التواصل قسراً، مُخاطباً أبا العباس بقولِه:"ما لك قد سكت؟"، وهو فعلٌ مباشرٌ يتضمّن لوناً من الإلحاح والإكراه على استئناف الحوار. فاضطر المبرد إلى الردّ، مُنكراً على مُخاطبِه هذا الإكراه بقوله: " وما عَسَيْتُ أنْ أقول، رجلٌ يقول: ليس الأمر كما قلت، أَفَأَهْتُرَه؟"، مُشيراً إلى أنَّ الاستمرار في الخطاب مع طرفٍ يرفض كل جوابٍ ليس إلَّا نوعاً من العبث، بل يُلزِمه بموقفٍ محرج، كأنْ يُكذِّب المُخالِف أمام الملأ، وهو ما يُعدّ خرقاً مزدوجاً لمبدأي التعفف والتعاطف في آنٍ معاً.

ويمكننا التأصيل لأول خرق لمبدأ التأدب على مستوى الحوارات النحوية ما كان بين سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)[١٨] والكسائي (ت ١٨٩هـ)، الذي عبر عنه سيبويه بقوله: ذَلكَ سُوْءُ أَدَب، في المناظرة التي حصلت بينه وبين الكسائي وأصحابه في المسألة المشهورة نحوياً وهي المسألة الزنبورية، إذ إنَّ هناك الكثير من القواعد والاستراتيجيات الخاصة بالتأدب خُرِقت من الكسائي وأصحابه، والسبب يعود إلى أنَّهم كانوا مُعدِّين مسبقاً لهذه المناظرة وفي نيّتهم أنْ يُخَطِّئوا سيبويه.

من هذه المبادئ التي خرقها الكسائي وأصحابه مبدأ التعفف، نجد أحد أصحابه يبادر إلى سؤال سيبويه وهو خلف الأحمر فيسأله عن مسألة ومن ثم يُخطِّئه بها. "وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألةٍ أجاب فيها سيبويه، فقال له: أخطأت ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها، فقال له: أخطأت. ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له: أخطأت. فقال له سيبويه: هذا سوء أدب!"[١٩].

يتّضح من هذا الخطاب أنَّه اتّسم بالمباشرة المفرطة، وخلا من مظاهر التأدب المعهودة في التخاطب العلمي، مما يُعدّ خرقاً واضحاً لقاعدة التعفّف، إذ قام المتكلِّم بفرض نفسه على المخاطَب من غير تمهيدٍ أو استئذان، وبدأ بتوجيه سؤال مباشر، أعقبه بتخطئة صريحة للجواب. ثم أعاد الكرّة في سؤالٍ ثانٍ بالطريقة نفسها، أعقبه أيضاً بتخطئة، ليكرّر المشهد ذاته في سؤالٍ ثالث، مواصلاً فرض نفسه على سيبويه، ومُمعناً في الإلحاح عليه. إنَّ هذا النمط من السلوك الحواري يُمثّل خروجاً صريحاً عن مبدأ التأدب التداولي، كما يدلّ عليه استنكار سيبويه لهذا التصرف بعبارته الواضحة : "هذا سوءُ أدب!" التي جاءت تعبيراً عن مفاجأته من سلوك لا يراعي الأعراف التخاطبية اللائقة في مثل هذا المقام.

المبحث الثاني: قاعدة التَّخْيِير (التشكيك) في الخطاب النحوي القديم

لا يخفى على المتأمّل في التراث اللغوي أنَّ الخطاب النحوي قد تميّز – في كثير من مواضعه – بطابع حواري راقٍ اتّسم بمراعاة مبادئ التأدب، ولا سيما الالتزام بما يُعرف بقاعدة التخيير أو التشكك، وتُعنى هذه القاعدة بإتاحة مساحة من الحرية للمخاطَب في اختيار الموقف أو الجواب، مع تجنّب المتكلم أساليب التقرير والإلزام، واللجوء بدلاً من ذلك إلى صيغ الاستفهام التي تُوحي بتعدّد الإمكانات وفتح المجال للتأويل. ومن ثمّ، فإنَّ الغاية التداولية لهذه القاعدة تتمثل في تمكين المخاطَب من اتخاذ موقف ذاتي حرّ، بما يرسّخ مبدأ الاحترام المتبادل بين أطراف الحوار، وهو ما عبّرت عنه القاعدة بعبارة: (لِتَجْعَلَ الْمُخَاطَبَ يَخْتَارَ بِنَفْسِهِ)[٢٠].

وفي ضوء ما تقدم نقف عند خطاب عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) في مسألة توجيه قراءة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطهَرُ لَكُم﴾[٢١]، إذ أنكر أبو عمرو بن العلاء توجيه عيسى بن عمر بالنصب" لأطهر"، إلّا أنَّه كان مؤدباً في خطابه، وعلى الرغم من علمه بصدور هذا الرأي منه إلّا أنَّه لم يبادره السؤال مباشرة " وَكَانَ يقْرَأ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطهَرَ لَكُم﴾ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء : كيف تقول: هؤلاء بَنيّ، هم ماذا ؟ فَقَالَ عشْرين رَجُلاً فأنكرها أَبُو عَمْرو"[٢٢].

يظهر من هذا الخطاب أنَّ أبا عمرو بن العلاء التزم بمبدأ التأدب، وتحديداً قاعدة التخيير، في تعامله مع المخاطَب، ويتجلى ذلك في قوله: "هؤلاء بَنِيَ هم ماذا؟"، إذ صاغ سؤاله بصيغة استفهامية تُفسح المجال أمام الطرف الآخر – وهو عيسى بن عمر – لإعادة النظر في توجيهه للنص في " اطهرَ". فالبنية الاستفهامية هنا لا تُراد بها المعرفة فحسب، بل تؤدّي وظيفة تداولية أعمق تتمثل في احترام استقلالية المخاطَب وعدم فرض وجهة نظر المتكلّم عليه، مما يعكس سلوكاً حوارياً مؤدَباً يتماشى مع مقتضيات التخاطب التعاوني في السياقات[٢٣].

ومن الأمثلة الدالة على التزام النحويين بمبدأ التأدب، وتحديدًا قاعدة التخيير، ما ورد في الحوار الذي دار بين اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) بحضرة الخليفة المهدي أبو عبدالله محمد بن المنصور (ت١٦٩هـ)[٢٤] في مسألة إضمار "إنَّ" وإعمالها. إذ توجه اليزيدي إلى الكسائي بسؤال صيغ بطريقة غير تقريرية، قائلاً: "قلت له: كيف تقول : إِنَّ مِنْ خَيْرِ القَوْمِ وَأَفْضَلِهِمْ، أَوْ خَيْرِهِمْ بَتَّةً، زَيْدٌ؟"[٢٥]. نلحظ أنَّ السؤال قد صيغ بصيغة استفهامية مفتوحة، تُقدّم للمخاطَب بدائل متعددة، وتُشعره بوجود هامش من الاختيار في تحديد وجه الصواب النحوي، من غير أنْ تُلزمه بإجابة بعينها أو تُملي عليه رأياً محددًا. وبهذا، فإنَّ خطاب اليزيدي يُعدُّ مثالاً واضحاً على احترام استقلالية المخاطَب، والتزاماً بمبدأ التخيير بوصفه إحدى قواعد التأدب التداولي في الحوارات العلمية.

وفي المسألة نفسها نجد أنّ اليزيدي يخاطب المهدي: " قَالَ فقلتُ: أصلح الله الْأَمِير كَيفَ يُنشدُ هَذَا الْبَيْت من هَذِه القصيدة:

يَا أَيُّها السائلي لأُخبِرَ ... عَمَّن بصنعاءَ من ذَوي الحَسَبِ

حِمْيرُ سادتُها تَقِرُّ لَهَا ... بالفضلِ طرًّا جحاجحُ العربِ

وإنّ من خَيرِهِمْ وَأَكْرمِهِمْ ... أَو خَيرَهِمْ بتةً أَبُو كَرِبِ

فَقَالَ الْمهْدي: كَيفَ تُنشد أَنْت؟ قَالَ فقلتُ: أَو خيرَهم بتةً أَبُو كرب على معنى إِعَادَة " إنَّ ". قَالَ فَقَالَ الْكِسَائي: هُوَ قَالَهَا السّاعة أصلح الله الْأَمِير"[٢٦].

نلحظ في هذا الموضع أنَّ اليزيدي التزم بمقتضيات التأدب، وتحديداً قاعدة التخيير، في خطابه الموجَّه إلى الخليفة المهدي، إذ لم يصُغ سؤاله على نحو مباشر أو تقريري، وإنَّما قدّمه بصيغة استفهامية مؤدّبة قائلاً" :أصلح الله الأمير، كيف يُنشد هذا البيت؟"، فهو أولاً استخدم قاعدة التعفف في الخطاب مع الأمير، وذلك بالدعاء له وجعل مسافة ما بين المتكلم والمخاطب[٢٧]، ومن ثمَّ جاء بأسلوب يُوحي بوجود احتمالات متعددة، ويُتيح للمخاطَب حرية اختيار الوجه الذي يراه صائباً دون أنْ يشعر بالإلزام أو الحرج[٢٨]، ونجد المهدي أيضاً يستخدم القاعدة نفسها مع اليزيدي، بلحاظ قوله: "كيف تُنشد أنت؟" ويُعد هذا النمط من الخطاب مثالاً واضحاً على تجلّي مبدأ التخيير بوصفه من قواعد التأدب التي تُراعي مكانة المخاطَب وتُحافظ على التوازن التواصلي.

ومن الحوارات النحوية التي نُقلت عن علماء اللغة ما دار بين المازني (ت ٢٤٧هـ) والأصمعي (ت ٢١٦هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى، التميمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة (ت ٢٠٩هـ)[٢٩] ، في مناقشتهم لمسألة قلب الواو ياءً في مصدر الفعل "خَاصَ يَخُوصُ"، إذ تناولوا الظاهرة بالتحليل اللغوي في إطار من الحوار العلمي القائم على تبادل الآراء والنظر في وجوه القياس والسماع."

وحَدثني أَبى قَالَ: أَخْبرنِي ابْن حبَان النَّحْوِيّ قَالَ أَخْبرنِي أبو بكر الْمَازِني أنَّه سَأَلَ أبا عُبَيْدَة والأصمعي عَن قَول الْأَعْشَى(٣٠): من الطَّوِيل

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَى مِنَ الْحَيّ شَاخِصًا ... لَقَدْ نَالَ خِيصًا مِنْ عُفِيرَةَ خَائِصًا

فَقلت: خَيْصَاً أَو حَيْصَاً؟ فَقَالَا: مَا نَدْرِي. وَقَالَ الْأَصْمَعِي: يُقَال فُلَانٌ يَخُوصُ فِي بَنِي فُلانٍ العَطَاء إذا كَانَ يعطيهم شَيْئاً يَسِيراً"(٣١).

يتّضح من خطاب المازني التزامه بمبدأ التأدّب، وذلك من خلال قوله :"قلتُ: خَيصَاً أو حَيصَاً؟"، إذ يُقَدّم للمخاطَبين بديلين محتملين دون أنْ يُلزمهم بأحدهما، بل ترك لهم حرية المفاضلة بينهما. وتُظهر هذه الصيغة الاستفهامية طبيعة الخطاب المُتَّسمة بالمرونة والانفتاح، مما ينسجم مع مقتضيات التخاطب المؤدَّب "القائم على ضرورة مراعاة العلاقة التخاطبية ذات البعد الأخلاقي بين المتكلم والمخاطَب"(٣٢)، إذ يُمنح المخاطَب مساحة لاتخاذ القرار وتقدير الصواب من تلقاء نفسه، دون فرض أو توجيه مباشر من المتكلّم.

خرق قاعدة التخيير

ومثلما وجدنا التزام علماء النحو القدماء بمبدأ التأدب في قاعدة التخيير أو التشكيك، وجدناهم أيضاً يخرقون هذه القاعدة في بعض حواراتهم.

ومن النماذج التي تُمثّل خرقاً لقاعدة التخيير ما ورد في الحوار الذي جرى بين ابن قادم (ت ٢٥١هـ) وإسحاق المصعبي (ت ٢٣٥هـ) حول مسألة جواز القول: وهذا المالُ مالاً، على جهة التقريب. وقد أشرنا إلى هذه المسألة في موضعٍ سابق خارج هذا السياق، إلّا أنَّ ما يعنينا هنا هو البُعد التداولي في الخطاب؛ إذ يظهر أنَّ إسحاق لم يراعِ مبدأ التخيير في مخاطبته لكاتب الخليفة، ولا سيما بعد أنْ عرض ابن قادم وجهين محتملين للتركيب (الرفع والنصب)، فقد جاء ردّ إسحاق بنبرة حادّة تنطوي على أمر مباشر، إذ يُروى أنَّه: "أقبل على ميمون بغلظة وفظاظة، ثم قال: إلزم الوجه في كتبك، ودَعْنا من يجوز ويجوز"(٣٣).

ويُفهم من هذا السياق أنَّ إسحاق مارس نوعاً من الإلزام القاطع، متجاوزاً مبدأ التأدب القائم على احترام استقلال المخاطَب وتعدّد وجهات النظر. ومن منظور تداولي، فإنَّ هذا الموقف يُعدُّ خرقاً واضحاً لقاعدة التخيير، إذ لم يُتح للمخاطَب حرية المفاضلة بين البدائل، بل أُمر بالالتزام بوجهٍ واحد على نحوٍ سلطوي، وهو ما يعكس إضعافاً لعنصر الاحترام في التفاعل الحواري.

ومن الخطابات التي وقع فيها خرق لقاعدة التخيير، ما دار بين محمد بن سلمان الهاشمي والي البصرة (ت ١٧٣هـ) والأخفش الكبير أبو الخطاب عبدالحميد بن عبدالمجيد (ت ١٧٧هـ)(٣٤) ، حول العطف على موضع اسم إنَّ قبل مجيء الخبر.

والرواية فيه: "كان أمير البصرة يقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾[٣٥]، بالرفع فَيَلْحَن، فمضيت إليه ناصحاً له، فَزَبَرَنِي وتَوَعَّدَنِي وقال: تُلْحِنُونَ أمراءكم؟ ثم عزل وولى محمد بن سليمان، فكأنّه تَلَقَّاها من المعزول، فقلت في نفسي: هذا هاشمي ونصيحته واجبة، فجبنت أنْ يلقاني بما لقيني به من قبله، ثم حملت نفسي على نصيحته فصرت إليه وهو في غرفة ومعه أخوه، والغلمان على رأسه، فقلت: أيها الأمير، جئت لنصيحة. قال: قل. قلت: هذا –وأومأت إلى أخيه– فلما سَمِعَ ذلك قام أخوه وفرق الغلمان عن رأسه وأخلاني، فقلت: أيّها الأمير، أنتم بيت الشرف، وأصل الفصاحة، وتقرأ: إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ بالرفع، وهذا غير جائز!"[٣٦].

نلحظ أنَّ الخطاب الذي وجّهه الأخفش إلى الأمير يخلو من مظاهر التأدب التداولي، وذلك بالنظر إلى قوله: "فمضيتُ إليه ناصحاً له"، أي ناصحاً بأنَّ القراءة التي اعتمدها غير صحيحة، على الرغم من أنَّ الآية الكريمة تحتمل أكثر من قراءة، منها الرفع والنصب. وهذا يدلّ على أنَّ المتكلّم قد ألزم مخاطبه بوجهٍ واحد دون الاعتراف بتعدّد الأوجه المحتملة، وهو ما يُعد خرقاً لقاعدة التخيير، التي تُعدُّ من ركائز التأدب في الخطاب.

ويعود الأخفش مرة أخرى إلى الأسلوب ذاته في مخاطبة الأمير الآخر الذي تولّى الإمارة بعد أخيه، كما في قوله: "أيها الأمير، أنتم بيت الشرف، وأصل الفصاحة، وتقرأ ((إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ))بالرفع، وهذا غير جائز". فعلى الرغم من التمهيد بثناءٍ ظاهري، فإنَّه سرعان ما اتّجه إلى نبرة تقريرية حاسمة تُلغي الرأي الآخر وتُقيّد المخاطَب بوجهٍ واحد، متجاهلاً إمكانية التعدّد في القراءة. ومن منظور تداولي، فإنَّ هذا الخطاب يُجسّد خرقاً لقاعدة التخيير، ويُظهر نزوعاً نحو الفرض والإلزام، وهو ما يتنافى مع مبدأ التأدب، لكونه لا يمنح المخاطَب مساحة للاختيار أو التقدير، ولا يراعي مكانته وحقه في النظر.

المبحث الثالث: قاعدة التودد في الخطاب النحوي القديم

تنصّ هذه القاعدة على ضرورة إبداء الودّ والتعاطف من جانب المتكلِّم تجاه المخاطَب، بما يُشعره بالراحة والطمأنينة. ويُشترط في تطبيقها أنْ يكون المتكلِّم مساوياً للمخاطَب في المرتبة أو أعلى منه. ومن الوسائل التي تُستخدم في هذا السياق: النداء بالاسم الصريح، أو باللقب، أو بالكنية[٣٧].

ومما يندرج ضمن المسائل النحوية التي تناولها العلماء في إطار من التأدب والحوار العلمي، ما دار بين عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) بشأن جواز إعمال "ليس" وإهمالها، إذ اتسم النقاش بينهما بالرصانة والاحترام، وعكس اختلافاً اجتهاديًّا مبنيًّا على أصول لغوية معتبرة.

روى الزجاجي: "ذكر أبو محمد اليزيدي قال: جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده فقال: يا أبا عمرو، ما شيءٌ بلغني أنَّك تُجِيزُه؟"(٣٨).

نلحظ أنَّ هذا الخطاب ذو طابع تودد في بدايته، ذلك أنَّ عيسى بن عمر ابتدأ سؤاله بمناداة المخاطَب بكنيته "يا أبا عمرو"، وهذا من باب التأدب معه وقاعدة من قواعده وهي التودد، إذ يوحي السياق إلى أنَّ المخاطَب قريب من المتكلم وله صلة وعلاقة حميمية معه، "كما يُشعر المرسل إليه بالانتعاش، لإحساسه بالتساوي مع المرسل"(٣٩).

ومثله ما دار بين اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ)، حول إضمار إنَّ وإعمالها، وكان خطاب اليزيدي ملتزماً بمبدأ التأدب فيه. قيل: "فَقَالَ لي: يَا أَبَا مُحَمَّد أعوذُ بِاللَّه من شرّك، قَالَ فقلتُ لَهُ: وَالله لَا تُؤْتَى مِن قِبَلِي حَتَّى أُوتى من قبلك"(٤٠).

ابتدأ المتكلِّم خطابه بصيغة تحمل دلالات التودد والتلطف، وذلك بندائه مخاطبَه بكنيته: "يا أبا محمد"، مستخدماً بعض "الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوّي علاقات التضامن والصداقة بينهما(٤١)، وهي صيغة تواصليّة تنطوي على احترامٍ ضمني. وعلى الرغم من أنَّ اليزيدي خالف مبدأ التأدب كما يظهر في قوله: "أعوذ بالله من شَرِّكَ"، فإنَّ هذا الاستهلال التوددي يكشف عن محاولة لتهيئة المخاطَب نفسيًا، وكسب وِدّه، وتخفيف حِدّة ما قد يُفهم من إساءة لاحقة، مما يعكس وعياً تداولياً بقواعد التلطيف في المواقف التواصليّة الحسّاسة.

ومقابل هذا التودد الذي صدر من قِبَل المتكلم، نجد المخاطَب ملتزماً بهذه القاعدة أيضاً، بلحاظ قوله: " والله لا تُؤتى من قِبلي حتّى أوتى من قِبَلك"، إذ جعله يشعر بالراحة والطمأنينة(٤٢).

ويمثّل ما دار بين الكسائي (ت ١٨٩هـ) وأبي يوسف القاضي (ت ١٨٣هـ) في قضايا التوكيد وحروف العطف ودلالاتها، إنموذجاً لخطابٍ علمي اتسم بالتأدب والاحترام المتبادل.

قيل: "أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر الدارمي، وأبو علي النقار، وأبو العباس محمد بن الحسن الهذلي، قالوا: حدثنا أحمد بن فرح، قال: سمعت أبا عمر الدوري يقول: كان أبو يوسف يقع في الكسائي ويقول: أيش يُحسِن؟ إنَّما يُحْسِنُ شيئاً من كلام العرب، فبلغ الكسائي ذلك، فالتقيا عند الرشيد، وكان الرشيد يعظم الكسائي لتأديبه إياه، فقال لأبي يوسف: يا يعقوب أيش تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالقٌ طالقٌ طالقٌ، قال ..."(٤٣).

وَجّه الكسائي في هذا الخطاب أسئلة عدّة إلى أبي يوسف، بهدف دفع ما نُقل إليه من طعن يعقوب في صناعته. غير أنَّه اعتمد في طرحها أسلوباً يتسم بالتودد واللين، ويتجلى ذلك في مناداته له باسمه: "يا يعقوب". إذ إنَّ النداء بالاسم الصريح، في كثير من الحوارات التواصليّة، يُعدّ مؤشراً على التقرب واللطف(٤٤)، وهو ما يضفي على الخطاب طابعاً تهذيبياً يُخفف من حدة المواجهة، كما لمسنا ذلك بوضوح في بنية هذا النص وسياقه التداولي.

وفي مسألة إظهار فضل النحو والإعراب على المنطق في بيان المعاني، نجد ما كان بين أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (ت ٣٦٨هـ)(٤٥) وأبي بشر متّى بن يونس (ت ٣٢٨هـ)(٤٦) في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات(ت ٣٢٧هـ)(٤٧) ؛ اشتمل على الكثير من قواعد التأدب على الرغم من وجود قواعد واستراتيجيات أخرى خُرِقَت في هذا الخطاب، فنجد أنَّ متّى بيّن أنَّ المنطق له الفضل الكبير على سائر العلوم، فطلب الوزير ابن الفرات من الجالسين وكان منهم العدد الكبير من علماء العربية أنْ يردُّوا على هذا الرأي فلم ينبري إليه أحد، لذلك قال بعد أنْ بيّن فضلهم وامتدحهم فلم يقم منهم أحد لأبي سعيد ممتدحاً ومتوداً له: "أنت لها يا أبا سعيد، فَاعْتِذَارُكَ عَن غَيرِكَ يُوجِبُ عَليكَ الانتِصارُ لِنَفسِكَ، والانتِصَارُ لِنَفْسِكَ رَاجِعٌ على الجَمَاعَةِ بِفَضْلِكَ. فقال أبو سعيد: مُخَالَفَةُ الوزيرِ فِيمَا يَأمُرُهُ هُجْنَةٌ، والاحْتِجَانُ عَن رَأيِهِ إخْلادٌ إلى التَّقْصِيرِ، ونَعَوذُ باللهِ مِنْ زَلّةِ القَدَمِ، وإيَّاهُ نَسْأَلُ حُسْنَ التَّوفِيقِ في الحَربِ والسّلْمِ. ثم واجه متّى"(٤٨).

يُفصح هذا الخطاب الذي وجّهه الوزير إلى أبي سعيد عن مستوى عالٍ من التودد والتأدب في التخاطب، ويتجلّى ذلك في قوله: "أنت لها يا أبا سعيد"، إذ استخدم الكنية بوصفها وسيلة خطابية تُشعر المخاطَب بالتقدير والاحترام، وتسهم في تهيئة مناخ نفسي مريح يبعث على الطمأنينة ويهيّئ القبول، الأمر الذي انعكس في استجابة أبي سعيد وقبوله بالمواجهة، كما يدل على نيل الوزير وُدَّه ورضاه قولُ أبي سعيد: "مخالفة الوزير فيما يأمره هجنة"، وهو تعبير يشي بدرجة عالية من التقدير والثقة التي نشأت عن ذلك الخطاب المؤدب. ومن ثم رأينا أنَّ الوزير يخاطب أبا سعيد متوداً له بقوله " أيّها الشيخُ المُوَفَّقُ، أَجِبْهُ بالبَيَانِ عن مَوَاقِعِ ((الواو)) حَتَّى نَكُونَ أَشَدَّ في إقْحَامِهِ، ... "(٤٩). نلحظ أنَّ المتكلم يعمد إلى اختيار ألفاظٍ وتراكيبَ تُشعر المخاطَب بالراحة والطمأنينة، وتُوحي برغبته في استرضائه، وذلك بغرض الحفاظ على استمرارية التفاعل الخطابي بينه وبين الطرف الآخر، وتجنّب انقطاع التواصل أو تفكك مسار النقاش.

خرق قاعدة التودد

يُعدّ الحوار الذي جرى بين اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) حول مسألة مدّ لفظ "الشِّراء" أو قصره مثالاً على خرق مبدأ التأدب، لا سيّما ما يتعلق بقاعدة التودد بين المتحاورين، إذ خلا هذا الخطاب من أساليب التلطف واللين. قال أبو محمد: "وسألني أبو عبيد الله ونحن بعيس اباذ فقال: ما تقول يا أبا محمدٍ في الشراء، مقصور أو ممدود؟ قلت له: ممدود. قال: والكسائي حاضر. قال: فسأل الكسائي فقال: مقصور. قلت: أخطأ الكسائي"(٥٠).

فعلى الرغم من التزام الوزير أبي عبيد الله بمبدأ التأدب في خطابه مع اليزيدي، وتودده إليه، فإنَّ اليزيدي لم يُقابل ذلك بالمثل في خطابه مع الكسائي، إذ نجده يخرق مبدأ التأدب بقوله: "أخطأ الكسائي"، وهو تعبير يحمل في طيّاته حدّةً وتهكّماً، وينأى عن اللين واللطف في التوجّه إلى الآخر. ويُعدّ هذا الأسلوب خروجاً عن مقتضيات التخاطب المتأدّب، ولا سيما أنَّ المسألة التي تناولها الطرفان ذات وجهين، وكان يمكن لليزيدي – وإنْ رأى رأي الكسائي غير صواب – أنْ يختار تعبيراً أقلّ حدّة وأكثر احتراماً، يراعي فيه مكانة المخاطَب وسياق النقاش العلمي.

وقد انحاز الوزير يحيى بن خالد (ت ١٩٠هـ)(٥١) إلى جانب الكسائي وأصحابه، وتابعهم في آرائهم، وخاطب سيبويه بخطاب خرق فيه مبدأ التأدب، وذلك في المناظرة التي سُمّيت بالمسألة الزنبورية. "فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيّها الرجل"(٥٢).

ينطوي هذا الخطاب على تعبيرات تحمل في طيّاتها تقليلاً من شأن سيبويه، الذي يُعدّ في زمنه رأس المدرسة البصرية. ويتجلّى ذلك في قوله له: "قد سمعتَ أيها الرجل"، إذ توحي لفظة "الرجل" في هذا السياق بنبرة ازدراء أو تصغير، لا تليق بمكانة عالمٍ بارزٍ في العربية. ويُعدّ هذا الأسلوب خروجاً عن إحدى قواعد التأدب في الخطاب، وهي قاعدة التودد، التي تقتضي مخاطبة الآخر بما يعكس الاحترام والتقدير، لا التقليل والإهانة.

الخاتمة

١. يتّضح من خلال هذه الدراسة أنَّ الخطاب النحوي القديم لم يكن مجرّد نقاش علمي محض، بل كان فضاءً تداوليًّا تتجاذبه مقاصدُ التأدب وآلياته كما حدّدتها نظرية لايكوف. فقد كشف التحليل عن حضورٍ ملحوظ لمبادئ التأدب الثلاثة (التعفف، والتخيير، والتودد) في تفاعلات النحويين، الأمر الذي يعكس وعيهم الضمني بأهمية تنظيم الحوار وضبطه بما يحفظ وجوه المشاركين، ويُسهم في استمرار التواصل المعرفي البنّاء.

٢. كما ظهر أنَّ هذه المبادئ لم تكن على وتيرة واحدة؛ إذ التزم بها بعض العلماء التزامًا يعكس روح الاحترام والتقدير، في حين وقع الخرق أحيانًا إمّا بسبب حدّة الخلاف العلمي، أو لرغبة المتحاور في إظهار التفوّق وإثبات الرأي.

٣. تبرز قيمة نظرية لايكوف في قدرتها على الإضاءة على أبعاد الخطاب النحوي القديم، وبيان أنَّه لم يكن بعيدًا عن مبادئ التواصل الإنساني الراقي، وإنْ اختلفت السياقات الثقافية والحضارية. ومن ثَمّ، فإنَّ ربط التراث النحوي بمناهج التداولية المعاصرة يُثري فهمنا للخطاب ويؤسّس لجسر تواصلي بين القديم والحديث.

الهوامش

(١) ينظر: اللسان والميزان: ٢٤٠، استراتيجيات الخطاب: ٩٧، فلسفة اللغة: ٥٠٧.

(٢) ينظر: اللسان والميزان:٢٤٠. ٢٤١، استراتيجيات الخطاب: ١٠٠. ١٠٢، نظرية التأدب في اللسانيات التداولي: ١٢١. ١٢٢، قواعد التخاطب اللساني في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول: ١٦١، الخطاب الأخلاقي عند الفيض الكاشاني دراسة في ضوء مبدأ التأدب التداولي: ٧٥. ٧٧.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٠٢، قواعد التخاطب اللساني في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول: ١٥٩. ١٦٠.

(٤) مجالس العلماء: ٣- ٥، أمالي الزجاجي:٢٣٢، طبقات النحويين واللغويين: ٤٣، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١٣٦. ١٣٧، وينظر أصل المسألة النحوية في الكتاب: ١/١٤٧.

(٥) وفيات الأعيان:٣/ ٤٨٦.

(٦) المصدر نفسه: ٣/ ٤٦٦.

(٧) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٠٠. ١٠١.

(٨) وفيات الأعيان: ٤/٣٣٧.

(٩) طبقات النحويين واللغويين: ١٦١.

(١٠) ينظر: كتاب الفهرست: ١/ ١٩٩.

(١١) ينظر: اللسان والميزان: ٢٤١.

(١٢) معجم الأدباء إرتشاف الضرب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٧٤٩.

(١٣) ينظر: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: ١٢١، مبدأ التأدب في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول:٨١.

(١٤) وفيات الأعيان: ٤/٣١٣.

(١٥) المصدر نفسه: ١/ ١٠٢.

(١٦) مجالس العلماء: ٩٤.

(١٧) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٠٠.

(١٨) وفيات الأعيان: ٣/ ٤٦٣.

(١٩) مجالس العلماء: ٩، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين:٢/ ٥٧٦، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٢/ ٢٧٩.

(٢٠) ينظر: اللسان والميزان: ٢٤١.

(٢١) سورة هود: ٧٨.

(٢٢) ينظر أصل المسألة في: الكتاب: ٢/ ٣٩٧، شرح تسهيل الفوائد، محمد: ٢/ ١٣٠، طبقات النحويين واللغويين: ٤١،. طبقات فحول الشعراء: ١/٢٠

(٢٣) ينظر: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: ١٢١.

(٢٤) سير أعلام النبلاء: ٧/ ٧٨. ٧٩.

(٢٥) أمالي الزجاجي: ٦٠، مجالس العلماء: ٢٢١، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ٦٨٥.

(٢٦) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ٦٨٥.

(٢٧) ينظر: المناظرات النحوية في مجالس الحكم: ١٩٧٣.

(٢٨) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٠١.

(٢٩) وفيات الأعيان: ٥/ ٢٣٥.

(٣٠) ديوان الأعشى الكبير: ١٩٩. ٢٠١.

(٣١)غريب الحديث: ٢/ ١٣٢. ١٣٣، مجالس العلماء:١٠٨، وينظر أصل المسألة النحوية في: العين: فصل الخاء والصاد والياء: ٤/ ٢٨٦.٢٨٧، مجمل اللغة لابن فارس: ٣٠٨، المخصص: ٢/ ٢٨١.

(٣٢) تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي: ٢٠٨.

(٣٣) معجم الأدباء: ٢٥٤٥.

(٣٤) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٩.

(٣٥) سورة الأحزاب/ ٥٦.

(٣٦) مجالس العلماء: ٤٤. ٤٥، ينظر أصل المسألة النحوية في: إعراب القرآن للنحاس: ٣/ ٢٢٢، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٧٩١.

(٣٧) ينظر: اللسان والميزان: ٢٤١، استراتيجيات الخطاب: ١٠٢.

(٣٨) مجالس العلماء: ٣، وينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١٣٦.

(٣٩) استراتيجيات الخطاب: ١٠٢.

(٤٠) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ٦٨٤.

(٤١) اللسان والميزان:٢٤١.

(٤٢) ينظر: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: ١٢١.

(٤٣) تأريخ بغداد: ٣/ ٣٤٨. ٣٤٩، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٦٢.

(٤٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٠٢.

(٤٥) وفيات الأعيان: ٢/٧٨.

(٤٦) المصدر نفسه: ٥/ ١٥٣.

(٤٧) سير أعلام النبلاء:١١/ ٢٩٤.

(٤٨) معجم الأدباء: ٢/ ٨٩٥، دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني: ٧٢.

(٤٩) معجم الأدباء: ٢/ ٩٠١، دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني: ٧٢.

(٥٠) مجالس العلماء: ١٢٩، وينظر أصل المسألة في: تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٦٢/٣٨.

(٥١) سير أعلام النبلاء: ٥٢٨/٧.

(٥٢) مجالس العلماء: ١٠.

المصادر والمراجع

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١،٢٠٠٤م.

٢. إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النحّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلّق عليه عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٣. أمالي الزجاجي، عبدالرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، (ت ٣٣٧هـ)، تح عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٥. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر ١٩٩٦. ٢٠٠١م.

٧. تأريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تح مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٨. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني(ت ٣٩٠هـ)، تح عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٩. دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبدالرزاق الجناجي، رئيس فسم البلاغة بجامعة الأزهر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩١م

١٠. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس الأعشى الكبير، تح محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

١١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، خرّج أحاديثه واعتنى به محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٦م.

١٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، تح محمود الارناؤوط، خرّج أحاديثه عبدالقادر الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

١٣. شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٤. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيدالله الجماحي بالولاء أبو عبدالله (ت ٢٣٢هـ)، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ١٩٨٠م.

١٥. طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤م.

١٦. العين، بو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٤٣١ هـ: ٢٢٢/٤.

١٧. غريب الحديث، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تح عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

١٨. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه، (١٨٠هـ)، تح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٩. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠. مجالس العلماء، عبدالرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٩٨٣م.

٢١. مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٢٢. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تح خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٣. معجم الأدباء إرتشاف الضرب الى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

٢٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تح د. مازن المبارك، علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

٢٤. نزهة الألباب في طبقات الأدباء، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء . الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي (ت ٦٨١هـ)، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، . لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

الرسائل والأطاريح

١. الخطاب الأخلاقي عند الفيض الكاشاني دراسة في ضوء مبدأ التأدب التداولي، معصومة محمد عبد العزير، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٢٣م.

٢. قواعد التخاطب اللساني في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول، رائد عماد أحمد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٢م.

البحوث

١. تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، د. عبدالحليم بن عيسى، المجلة الجزائية للدراسات الإنسانية، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، العدد ١، ٢٠١٩م.

٢. المناظرات النحوية في مجالس الحكم . دراسة في ضوء مبدأ التأدب، د. عرفات فيصل، مجلة الدراسات المستدامة، مجلد ٥، العدد ٢، ملحق ٢، ٢٠٢٣م.

٣. نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، د. حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلد ٤٣، العدد١، ٢٠١٤م.

٤. مبدأ التأدب في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول، م رائد عماد أحمد، أ.م. د عباس عبدالحسين غياض، مجلة دراسات البصرة، مجلد١، العدد٤٩، ٢٠٢٣م.

Sources and References

1-Al-Ayn, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim al-Farahidi (d. 170 AH), edited by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim al-Samarra'i, Dar and Library of al-Hilal, 1431 AH: 4/222.

2-Al-Insaf fi Masail al-Dilah Bayn al-Basra and al-Kufi Grammarians, Kamal al-Din Abu al-Barakat Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Abi Sa'id al-Anbari al-Nahwi (d. 577 AH), Al-Maktaba al-Asriya, 1st ed., 2003.

3-Al-Mukhtas, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail ibn Sayyida al-Mursi (d. 458 AH), edited by Khalil Ibrahim Jaffal, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1996.

4-Amali Al-Zajjaji, Abdul Rahman bin Ishaq Al-Baghdadi Al-Nahwandi Al-Zajjaji (d. 337 AH), edited by Abdul Salam Harun, Dar Al-Jeel, Beirut, 2nd ed., 1987.

5-Biographies of the Noble Figures, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman al-Dhahabi (d. 748 AH), hadiths authenticated and edited by Muhammad Ayman al-Shabrawi, Dar al-Hadith, Cairo, Egypt, 2006.

6-Classes of Grammarians and Linguists, Muhammad ibn al-Hasan ibn Ubaydullah ibn Madhhij al-Zubaidi al-Andalusi al-Ishbili, Abu Bakr (d. 379 AH), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, 2nd ed., 1984.

7-Classes of the Great Poets, Muhammad ibn Sallam ibn Ubaydullah al-Jumahi by allegiance, Abu Abdullah (d. 232 AH), edited by Mahmoud Muhammad Shaker, Dar al-Madani, Jeddah, 1980.

8-Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Abdul Hadi bin Dhafer Al-Shahri, Dar Al-Kitab Al-Jadida Al-Muttahida, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2004.

9-Evidence of the Miracle of Abu Sa'id al-Sirafi and al-Jurjani, by Hasan ibn Ismail ibn Hasan ibn Abd al-Razzaq al-Janaji, Head of the Department of Rhetoric at al-Azhar University, Dar al-Taba'ah al-Muhammadiyah, Cairo, Egypt, 1st ed., 1991.

10-Explanation of al-Tasheel, entitled (Preamble to the Rules with Explanation of the Tasheel of Benefits), Muhammad ibn Yusuf ibn Ahmad, Muhibb al-Din al-Halabi, then al-Misri, known as Nazir al-Jaysh (d. 778 AH), studied and verified by Dr. Ali Muhammad Fakher and others, Dar al-Salam for Printing, Publishing, Distribution, and Translation, Cairo, 1st ed., 1428 AH.

11-Gharib al-Hadith, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim ibn Qutaybah al-Daynuri (d. 276 AH), edited by Abdullah al-Jubouri, al-Ani Press, Baghdad, 1397 AH.

12-Inbah al-Rawat ala Anbah al-Nahhat, Jamal al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Yusuf al-Qifti (d. 646 AH), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, and the Cultural Books Foundation, Beirut, 1st ed., 1982.

13-I'rab Al-Quran by Al-Nahhas, Abu Ja'far Al-Nahhas, Ahmad bin Muhammad bin Ismail bin Yunus Al-Muradi Al-Nahwi (d. 338 AH),

annotated and commented on by Abdul Munim Khalil Ibrahim, Muhammad Ali Baydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1421 AH.

14-Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib, Abdullah ibn Yusuf ibn Ahmad ibn Abdullah ibn Yusuf, Abu Muhammad Jamal al-Din, Ibn Hisham (d. 761 AH), edited by Dr. Mazen al-Mubarak, Ali Hamdallah, Dar al-Fikr, Damascus, 6th ed., 1985.

15-Mu'jam al-Udaba' Irtishaf al-Darb ila Ma'rifat al-Adib, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah al-Hamawi al-Rumi (d. 626 AH), edited by Ihsan Abbas, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, Lebanon, 1993.

16-Nuggets of Gold in the News of Those Who Have Passed, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali Abu al-Falah (d. 1089 AH), edited by Mahmoud al-Arna'ut, hadiths authenticated by Abd al-Qadir al-Arna'ut, Dar Ibn Kathir, Damascus-Beirut, 1st ed., 1986.

17-Nuzhat al-Albab fi Tabaqat al-Udaba', Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Ubaydullah al-Ansari Abu al-Barakat Kamal al-Din al-Anbari (d. 577 AH), edited by Ibrahim al-Samarra'i, Al-Manar Library, Zarqa, Jordan, 3rd ed., 1985.

18-Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus, Muhammad Murtada al-Husayni al-Zubaidi, edited by a group of specialists, Ministry of Guidance and Information in Kuwait - National Council for Culture, Arts, and Letters in the State of Kuwait, 1996-2001.

19-The Book, Amr ibn Uthman ibn Qanbar al-Harithi by allegiance, Abu Bishr, nicknamed Sibawayh, (d. 180 AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd ed., 1988.

20-The Compendium of the Language of Ibn Faris, Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi Abu al-Husayn (d. 395 AH), studied and verified by Zuhair Abd al-Muhsin Sultan, Al-Risala Foundation, Beirut, 2nd ed., 1986.

21-The Great Diwan of al-A'sha al-Kabir, by Maymun ibn Qays al-A'sha al-Kabir, trans. Muhammad Muhammad Husayn, Dar al-Risala, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1980.

22-The History of Baghdad or the City of Peace, by Abu Bakr Ahmad ibn Ali al-Khatib al-Baghdadi (d. 463 AH), trans. Mustafa Abdul Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1997.

23-The Scholars' Councils, Abd al-Rahman ibn Ishaq al-Baghdadi al-Nahwandi al-Zajjaji, Abu al-Qasim (d. 337 AH), edited by Abd al-Salam Harun, Al-Khanji Library, Cairo, Dar al-Rifai, Riyadh, 2nd ed., 1983.

24-The Sufficient and Compassionate Companion and the Healing Adviser, by Abu al-Faraj al-Mu'afi ibn Zakariya ibn Yahya al-Jariri al-Nahrawani (d. 390 AH), trans. Abdul Karim Sami al-Jundi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2005.

25-The Tongue and the Balance, or Intellectual Multiplication, Dr. Taha Abd al-Rahman, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed., 1998.

26-Wafiyat al-A'yan wa Anba' Anba' al-Zaman, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr ibn Khallikan al-Barmaki al-Arbili (d. 681 AH), edited by Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1994.

Letters and Theses

1-Ethical Discourse in al-Fayd al-Kashani: A Study in Light of the Principle of Pragmatic Politeness, Masouma Muhammad Abd al-Aziz, Master's Thesis, University of Basra, College of Arts, 2023.
2-Rules of Linguistic Communication in Prose Discourse in the Early Abbasid Era, Raed Imad Ahmad, PhD Thesis, College of Arts, University of Basra, 2022.

Research

1-Grammatical Debates in Governing Councils - A Study in Light of the Principle of Politeness, Dr. Arafat Faisal, Journal of Sustainable Studies, Volume 5, Issue 2, Supplement 2, 2023.
2-Politeness Theory in Pragmatic Linguistics, Dr. Hatem Obeid, Alam Al-Fikr Journal, National Council for Culture, Arts, and Letters, Volume 43, Issue 1, 2014.
3-The Pragmatics of the Principle of Politeness in the Performativeness of Speech Acts, Dr. Abdelhalim Ben Issa, Journal of the Penal Code for Humanities, University of Oran Ahmed Ben Bella, Algeria, Issue 1, 2019.
4-The Principle of Politeness in Prose Discourse in the Early Abbasid Era," Raed Imad Ahmed, Asst. Prof. Dr. Abbas Abdul-Hussein Ghiyadh, Basra Studies Journal, Vol. 1, No. 49, 2023.